العلاقات الليبية السودانية
عبر التاريخ

obeikandl.com

obeikandl.com

لم نطلع فى التاريخ على أن إدارة مشتركة بين ليبيا والسودان وقعت فى أى عهد من العهود إلا عن طريق مصر، التى كانت السودان تتبعها فى فترات طويلة من التاريخ، سواء قبل الاستعمار البريطانى أو فى فترة حكمه أو بعده.

إلا أن الكثير من القبائل العربية تسربت للسودان من خلال ليبيا.

ونذكر منها قبيلة جهينه، التى كانت فى الجزيرة العربية وجاءت إلى ليبيا حيث استقرت ببلدة أوجله ومنها هاجرت إلى الجنوب حتى وصلت تشاد والنيجر والسودان.

وقبيلة الزغاوه التى هاجرت من ليبيا فى تاريخ قديم ولازالت بقاياها فى شمال ليبيا بترهونه، وسرت وهى قبيلة المزاوغه ومنها فرع كبير فى النيجر يسمى «امزوغن» أصبح ضمن التوارق.

أما قبائل السلامات، والمحاميد التى تقطن على الحدود بين السودان وتشاد فهى قبائل عربية نزحت للمنطقة من ليبيا وكذلك قبيلة الرزيقات.

وقبل دخول الفرنسيين إلى تشاد، وصل إلى تشاد رابح فضل الله وهو سودانى كان جندياً فى الجيش التركى، ثم انضم إلى الزبير باشا، أحد أثرياء السودانيين، والذى شكل مجموعات للتجارة فى الرقيق. وبناء على تحريم الرقيق فى العالم، ضغطت بريطانيا على خديوى مصر لأن يستدعى الزبير إلى مصر ويسجنه.. وهكذا وصل الزبير إلى مصر وسجنه الخديوى ولكن رابح رفض القدوم إلى مصر وشكل مجموعة من المجندين معه، وهاجم بها الإمارات التى تقع فى شرق تشاد وجنوبها، واستطاع

أن يوحدها تحت أمرته، وأن يلتقى بالليبيين فى جنوب تشاد، ويتعاون معهم ضد الفرنسيين عندما وصلوا إلى تشاد ١٨٩٩، وخاضوا معه المعارك التى خاضها والتى سقط فيها شهيداً عام ١٩٠٠.

وعندما قام محمد المهدى السودانى بدعوته، اتصل بالسنوسيين فى تشاد وحاول أن يؤيدوا دعوته، ولكن شيخ الطريقة السيد محمد المهدى السنوسي رأى عدم التعاون مع المهدى السودانى لأنه كان يقنع أتباعه بأنه المهدى المنتظر.

وقصته معروفة فى هجومه على الخرطوم وقتل المندوب البريطانى فيها، وتكوين دولته المهدية فى السودان.

وقد وصلت مجموعة من الليبيين عرب، وتوارق إلى حدود السودان الغربية عندما ضغطت عليهم فرنسا، وقيد حركتهم أنصار المهدى لمدة من الزمن، ثم أطلق سراحهم.

ووصلت بعض المجموعات من الليبيين إلى السودان عن طريق مصر. بعد أن هاجرت هذه القبائل إلى مصر فى فترات مختلفة فى العهد التركى. واستقرت بالسودان.

وفى العهد التركى وصل بعض الأفراد السودانيين المجندين فى الجيش التركى إلى ليبيا، وبعضهم اشترك مع الليبيين فى حرب الطليان كما كان التجار يتحركون بين ليبيا والسودان، إما عن طريق مصر أو عن طريق تشاد، وخاصةً تجارة الإبل.

ويجب أن نذكر للسودان الشيخ الكبير عبدالله السنارى، الذى انتقل من بلدته «سنار المدينة» إلى الحج، حيث التحق هناك للتعليم على يد الشيخ أحمد بن ادريس والتقى مع الشيخ محمد على السنوسى القادم من الجزائر.

وقد كلف الشيخ أحمد بن إدريس هذين الشيخين بالذهاب إلى ليبيا ونشر التعليم

الدينى فيها وتنقية الدين من الشوائب التى علقت به من قبل العامة التى تجهل الدين.

وبقى محمد بن على السنوسى ببرقة وشرع فى تأسيس الزوايا هناك، أما الشيخ عبدالله السنارى الذى اسماه الشيخ محمد بن على السنوسى السنى بدلا من السنارى فانتقل إلى المناطق الغربية من ليبيا وأسس زاوية «مزدة» ومجموعة من الزوايا الأخرى فى كل من الرجبان، ومسلاته، وسيناون، وغذامس، وتيجى.. وتولى أولاده من بعده إدارة هذه الزوايا، وعندما غزا الطليان ليبيا برز أحفاده فى الجهاد، ووصل ابنه محمد إلى تشاد ونشر بها الدعوة الإسلامية وأسس مجموعة من الزوايا فى تشاد والنيجر، وعندما غزا الفرنسيون تشاد ١٨٩٩ اصطدم بهم محمد السنى ومجموعات الليبيين ومشائخ الزوايا لعدة سنوات، كما قاد أولاده أحمد والمهدى الجهاد فى ليبيا ضد الطليان.

ويجب أن نذكر السلطان على دينار، سلطان دارفور والذى سميت باسمه «آبار على» قرب المدينة المنورة هذا الرجل، أيّد الشيخ أحمد الشريف فى حربه ضد البريطانيين، وحاربهم، إلا أنهم انتصروا عليه وأعدموه وقاموا بتأليف الكتب للدعاية ضد السلطان على دينار، الذى وقف ضدهم فى المنطقة والذى كان على اتفاق مع المجاهدين الليبيين ضد الطليان وضد الإنجليز.

والسلطان على دينار هو الذى كان يرسل ستار الكعبة ويرسل الأموال والهدايا لتوزيعها فى الحج.

وهو أول من كان يوقع باسم خادم الحرمين الشريفين وأرسل مجموعة من العبيد لخدمة الكعبة.

واستقلت السودان عام ١٩٥٥، وأصبحت عضواً فى جامعة الدول العربية وتعاقب على حكمها مجموعة من السياسيين المهمين فى التاريخ السودانى. أمثال الأزهرى ومحجوب وغيرهما.

إلى أن وقع انقلاب ١٩٦٩ بقيادة النميرى، ووقعت ثورة الفاتح فى ليبيا ١٩٦٩ وكان كل من انقلاب السودان وثورة ليبيا يعتبران جمال عبدالناصر هو الملهم للقومية العربية والثورة العربية والوحدة العربية، فكان عبدالناصر مصدر الرأى للثورتين.

ولكن لم يطل العهد بعبدالناصر إذ توفى عليه -رحمه الله- عام ١٩٧٠ وبذل العقيد القذافى الكثير من الجهود لإعلان الوحدة مع مصر وسوريا والسودان، واستطاع أن يعلن الوحدة التى سميت بالاتحاد الرباعى بين ليبيا ومصر وسوريا والسودان.

غير أن هذا الاتحاد لم يكن من الفاعلية بمكان وتعرضت السودان لانقلاب شيوعى ضد النميرى، وتم القبض عليه.. وجاء من لندن قادة الانقلاب ولكن الليبيون تعرضوا للطائرة البريطانية التى تقلهم وأنزلوها وتم القبض عليهم وتسليمهم للنميرى الذى أعدمهم وتمت عودة النميرى للحكم علماً بأن الليبيين اشترطوا عليه محاكمة قادة الانقلاب وعدم إعدامهم ولكنه أخل بالاتفاق. كما أن النميرى عند عودته للحكم لم يعترف بالجميل لليبيين الذين أعادوه للحكم، فلقد سيطر الترابى على أفكار النميرى وأعلن الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، الأمر الذى زاد من عنفوان ثورة الجنوب الذين قالوا نحن لسنا مسلمين فكيف تطبقون علينا الشريعة الإسلامية، واتصل الترابى بالتيار الإسلامى المتطرف فى ليبيا، وفتح لهم معسكراً فى السودان للعمل ضد ليبيا، واستقبلت السودان قائد القاعدة فى أفغانستان بن لادن واستثمر أمواله فيها، كما قام السودان بدعم المجموعات المعارضة لليبيا من التشاديين المنضوين تحت راية الفرنسيين، فى حربهم ضد ليبيا، وسمحت لهم بالتحرك داخل أراضيها، وفتحت إذاعة للمعارضة الليبية تذيع من أم درمان. مما جعل الطيران الليبى يقصفها، ويقف الليبيون مع ثورة الجنوب، واستدعوا «جون

قرنق» إلى ليبيا، وصاروا يدعمونه ضد النميرى.

وسقط النميرى بانقلاب عسكرى ضده، واستمر البشير فى سيطرة الترابى على أفكاره، بالرغم من أنه كان يتردد على ليبيا ويلتقى بالعقيد القذافى. ويستشيره ويدعمه.

واشتعلت الثورة ضد الحكومة المركزية فى دارفور وفى كردفان. وعملت ليبيا كثيراً من أجل إنهاء الخلاف بين الحكومة المركزية السودانية وهذه الثورات.

ولكن الغرب يريدها أن تستمر.. والسودان بالرغم من أن ليبيا تبذل الجهود للمصالحة، إلا أن السودان يتهم ليبيا بمساعدة هذه الثورات.

ودخلت قطر على الخط واستقبلت هؤلاء المتخاصمين فى الدوحة فى عدة اجتماعات. وكان الليبيون يثقون فى قطر ويعتبرونها دولة عربية وصديقة، خاصة وأن شيخها وأولاده ووزير خارجيته دائم التردد على القذافى. ويطرح عليه كل المشاكل ويأخذ برأيه ويستنير به. وبالتالى كسبوا ثقة الليبيين المسئولين.

وحاول البشير أن يطيح بإدريس دبى المتعاون مع ليبيا ودعم المعارضين له. والذين انطلقوا من السودان وبدعم سودانى ولكن ليبيا لم تتخلى عن إدريس دبى ودافعت معه عن انجامينا، واستطاعت أن تثبته فى الحكم. وقد عملت ليبيا فيما بعد بالصلح بين ادريس دبى والبشير وجمعتهما فى ليبيا وتصالحا كما قامت بالمصالحة بين مبارك والبشير.

غير أن البشير لم يكن فى داخل نفسه مع ليبيا بالرغم من أن الليبيين قاموا باستثمارات داخل السودان فى مجال الزراعة والسياحة وقيام شركة زراعية فى وادى حلفا لربط ليبيا والسودان ومصر وتأسيس مدينة مليونية تجمع الليبيين والسودانيين والمصريين فى مساحة ١,٥ مليون فدان وتم تكليف شركة أمريكية وأسترالية لدراسة التربة وتبين

أن الأرض لا تصلح للزراعة إلا للنخيل، وتكون المجلس الليبى السودانى.

وأنشأ الليبيون طريق من الخرطوم إلى احدى القرى التى كانت معزوله طولها ٢٥ كيلو متر. وزار القذافى قبيلة الرشايده العربيه وامر بحفر عدة آبار لهم تزودهم بالمياه.

وفى جنوب السودان انشأ الليبيون مدرسة عربية وحفروا بئر في ملكال.

كما انشأوا فى الخرطوم فندق كبير ٥ نجوم.

وعند الحصار على ليبيا اتفق الليبيون مع البشير أن يستقبل باخرة مليئة بالسلاح لليبيا فى بورسودان وينزلها عنده لصالح ليبيا إلا أنه أمم السلاح ورفض اعطاءه لليبيا بعد كل الاتصالات الليبية، بالرغم من أن القذافى وقف مع البشير عندما طالبت به محكمة الجنايات الدولية وجعلته ليبيا يتحرك فى أفريقيا دون القبض عليه.

وما إن اتفق الغرب على مهاجمة ليبيا عام ٢٠١١ وقرر اسقاط نظامها حتى نجد السودان البشير يدعم المتمردين بالأسلحة والعتاد ويفتخر بأن أسلحته وصلت إلى المتمردين فى الجبل الغربى وصبراته ومصراته والزاويه.

لقد نسى البشير كل المواقف الطيبة للقذافى معه كما نسى قبله النميرى، ولا أدرى إن كانت هذه طبيعة العرب جميعاً أم السودانيين، أم البشير والنميرى فقط.

ففى ليبيا يعيش آلاف السودانيين الذين يشتغلون فى ليبيا ويحملون معهم رواتبهم أو يحولونها إلى عائلاتهم بالسودان.

وهؤلاء الآلاف يدرسون فى المدارس الليبية أولادهم مجاناً وفى الجامعات، ويتلقون العلاج المجانى كالليبيين، ويشترون المواد الغذائية والملابس المدعومة من

الدولة مثلهم مثل الليبيين ويعاملهم الليبيون بكل احترام وتقدير ويقبلون مجموعات منهم كمدرسين فى المدارس الليبية: وأطباء فى المستشفيات، وموقف البشير يذكرنا بقصة شعبية تقول: «إن الناس الذين أرادوا حرق سيدنا إبراهيم استمروا عدة أيام يجمعون الحطب ليشعلوا فيه النار ويلقوا سيدنا إبراهيم فيها، وشاهد الناس المستغرقين فى جمع الحطب (ابوكشاش)، وهو وزغة تتسلق الحيطان يحمل عوداً صغيراً ليضعه ضمن أكوام الحطب. فقيل له ماذا يؤثر عودك الصغير هذا أمام هذه الأكوام من الحطب، فأجابهم المهم اثبات النية».

وهكذا أثبت البشير نيته السيئة ضد أصدقائه والناس الذين أكرموه وأكلوا معه العيش والملح، أما قطر فتلك كابن نوح، عملٌ غير صالح.

حركة تحرير ارتريا

من المعلوم ان ارتريا احتلتها إيطاليا عام ١٨٩٦ وحاولت أن تحتل الحبشة ولكنها لم تستطع إلا بعد أن جندت الارتريين والصوماليين والجيبوتيين لاخضاع الثورة فى ليبيا وبعدها احتلت الحبشة عام ١٩٣٦. بعد أن جندت الليبيين للقتال في الحبشة.

ولما سقطت إيطاليا مهزومة فى الحرب العالمية الثانية تم تقسيم ورثتها بين الدول المنتصرة، واستطاعوا ضم ارتريا للحبشة.

وفى عام ١٩٦١ قامت الثورة فى ارتريا بقيادة «عواتى» مطالبة باستقلال ارتريا عن الحبشة وكانت السودان هى السند الخلفى لهذه الثورة، إذ أن الكثير من القبائل الارتريه مشتركة مع السودان.

وعندما قامت ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ التفتت إلى ثورات التحرير بما فيها ارتريا وقامت بدعمها وأذكر أن عثمان سبى قائد ثورة ارتريا جاءنا إلى طرابلس وزارنى

فى مكتبى عام ١٩٧٤ وقدم مذكرة بالطلبات، منها الكتب الدراسية لطلاب ارتريا وقبول طلاب ارتريا فى المدارس والجامعات الليبية وسد احتياج الثورة للدعم اللوجستى.

وتمت موافقة على طلباته، واشترط أن لا يكون الدعم عن طريق السودان لأنها ليست صادقة مع الثورة، وتم إرسال طائرات نقل محملة إلى اليمن الجنوبى إلى عدن لتسليمها إلى ارتريا.

وهاجمت ليبيا الامبراطور هيلاسى لاسى فى مؤتمر القمة الأفريقى، وقامت بمساعدة معارضيه وسقط هيلاسى لامى، واستمرت ثورة ارتريا تشتعل وتخبو وتقسمت قياداتها وحاولت عام ١٩٨٦ تجميعهم فى ليبيا فى محاولة للم شملهم، ولكننى لم أفلح.

وصالحت بين عبدالله دريس، قائد إحدى المجموعات وبين القيادة الليبية، أيام حرب تشاد، وتبرع بكتيبة من المقاتلين للدفاع عن ليبيا التى قرر الغرب بقيادة أمريكا مهاجمتها عن طريق تشاد وكان أفراد الكتيبة بالسودان، ولم يتيسر شحنهم إلى ليبيا.

وكانت السودان برئاساتها المتعاقبة تخشى الحبشة ولهذا لم تدعم ثورة ارتريا، ولم تساعد ليبيا على دعمها إلى حين تقرر تقرير المصير للشعب الارترى واستقلت ارتريا.

حرب أوغندة

قرر الغرب مهاجمة عيدى أمين فى أوغندة، وهو أول مسلم يصل إلى الحكم فى أوغندة ويقطع علاقاته بإسرائيل، ويطردهم من القاعده التى يحتلونها وسلمها لليبيين وقرر المشاركة فى الحرب مع العرب وأوغنده هي منابع النيل.

وسلط الغرب عليه الإعلام وشوهوه وقاموا بدعم «تانزانيا» «يوليوس نيريرى» ووقفت ليبيا مع عيدى أمين، إلا أن السودان رفضت مرور الطائرات الليبية لدعم

أوغندة ولو أنها عبرت الأجواء بدون إذن، ووصلت قوات الدعم الليبى إلى أوغندة وساهمت فى الحرب دفاعاً عن النظام الأوغندى.

إلا أن الغرب تكالب عليها، واستاطع أن يحاصر القوة الليبية قليلة العدد من المتطوعين «المقاومة الشعبية» وتمكن الليبيون من سحب مقاتليهم بالرغم من حصار الغرب، وسد الطريق السودانى عن المنسحبين، كما انسحب عيدى أمين مع المنسحبين، واستقر فى مدينة الخمس بأسرته لعدة سنين ثم انتقل إلى جده بالمملكة العربية السعودية حيث توفى هناك -عليه رحمة الله.

ووقفت ليبيا مع الثورة فى أوغندة ودعمتها بقيادة «موسيفينى» حتى أوصلتها للحكم.

وشيَّد الليبيون مسجداً من أكبر المساجد الإسلامية فى أفريقيا أسموه مسجد معمر القذافى.

وذهب وفد من المتمردين الليبيين الذين مكنهم الغرب من الاستيلاء على الحكم فى ليبيا، إلى أوغندة يطلبون تغيير اسم الجامع ورفض الأوغنديون ذلك لأن المسجد بناه معمر القذافى.

وهكذا نجد السودان بكل انقلاباتها حجر عثرة على دعم الثورات فى المنطقة. ارتريا، وأوغندة، الأمر الذى جعل أوغندة تقف مع ثورة الجنوب فى السودان إلى أن انفصلت عن السودان.